سورية: «نقص الموارد البشرية» والرهان على إسقاط الدولة

■ حميدي العبدالله

عادت من جديد الرهانات في الدول الغربية، عكستها الصحف ومراكز الأبحاث، على سقوط الدولة السورية، هذه الرهانات التي ما انقطعت لحظة واحدة طيلة حوالي أربع سنوات ونصف السنة هي عمر الأزمة في سورية. لكن الرهانات هذه المرة على ما تسمّيه وسائل الإعلام الغربية «نقص الموارد البشرية»، أيّ تقلّص عدد المنخرطين في المواجهة العسكرية إلى جانب الجيش السوري والتشكيلات الرديفة الأخرى.

لكن هل صحيح أولاً أنّ الجيش السوري يعاني من «نقص الموارد البشرية»؟ ومن أين استخلص الإعلام ومراكز الأبحاث الغربية هذه النتيجة؟ لا شك أنّ هذا الاستنتاج استند إلى التقدّم الذي حققته الجماعات الإرهابية المسلحة والمدعومة من الغرب ومن حكومات المنطقة في جبهة إدلب، وجزئياً في الجبهة الجنوبية ابتداءً من 26 آذار وحتى منتصف شهر حزيران الماضي.

لكن ما تذهب إليه مراكز الأبحاث والصحافة الغربية ينطوي على أمنيات، كما كانت الرهانات على سقوط الدولة السورية في بداية الأزمة، أكثر منه على حقائق صلبة وذلك في ضوء الآتي:

- التقدّم الذي تحقق في شهري نيسان وأيار قد توقف على جميع الجبهات، وانتقل الجيش السوري من الدفاع إلى الهجوم، وبرهن على صلابة وقدرة كبيرة في صدّ وتبديد كلّ الهجمات التي شنّت، ولا سيما تلك التي بدأت في الأسبوع الأخير قبل حلول شهر رمضان واستمرّت طيلة هذا الشهر، على كل الجبهات، وحقق الجيش تقدّماً في جبهات أساسية، مثل تدمر والزبداني بالتعاون مع المقاومة اللبنانية.

- ما تحقق في محافظة إدلب يفسّره قرب هذه المحافظة من الحدود التركية، وحصول التشكيلات الإرهابية المسلحة على دعم غير محدود بالعتاد والأفراد، من دول المنطقة حيث تدفق آلاف الإرهابيين عبر الحدود التركية، وبديهي أنه في ظلّ انتشار وحدات الجيش السوري على امتداد الجغرافية السورية في كلّ المحافظات، باستثناء محافظة الرقة، فإنه يمكن للإرهابيّين وحلفائهم أن يحققوا مكاسب موقتة، لكن هذا لا يعني إطلاقاً أنّ الجيش السوري يعاني من نقص في الموارد البشرية.

- لأنّ الجيش السوري ينتشر على امتداد الجغرافيا السورية، ولأنّ الإرهابيين يستهدفون المدن والبلدات والأحياء الآمنة والآهلة بالسكان، ويستهدفون أيضاً الطرق الدولية والطرق التي تربط بين المدن والبلدات، ويهاجمون خطوط التوتر العالي ومحطات توليد الكهرباء، وخطوط نقل الغاز والنفط، فمن الطبيعي أن ينتشر الجيش السوري لتأمين هذه المناطق، وبالتالي ينجم عن ذلك واقع ميداني قد يستغلّ من قبل الجماعات الإرهابية في المناطق القريبة من الحدود، مستفيدة من الدعم الخارجي لتحقيق مكاسب، غالباً ما تكون موقتة، وتتبدّد من حشد الجيش السوري قوات كافية للتعامل مع الخرق الذي يحصل على هذه الجبهة أو تلك، وعموماً لم تنجح المجموعات الإرهابية في تحقيق أيّ تقدّم إلا في المناطق الحدودية، مع تركيا والأردن. وهذا طبعاً ليس له علاقة بنقص في الموارد البشرية بالصورة التي يتحدّث عنها الإعلام الغربي.

- قد تكون هناك ظواهر في سورية للتهرّب من الخدمة الإلزامية، ولكن مقابل ذلك هناك تطوّع جديد على نطاق واسع، سواء في الجيش أو في القوات المحلية، وقد أكد أحد مراكز الأبحاث الغربية أنّ الكليات العسكرية خرّجت في سورية عام 2014 أكثر من ثلاثة آلاف ضابط، وهذا يعوّض العزوف أو التهرّب من الالتحاق بالخدمة الإلزامية، وعلى أية حال المتطوّعون أكثر فائدة من عناصر الخدمة الإلزامية.

- الخطر الذي تمثله الجماعات الإرهابية بسلوكها الوحشي يدفع الشعب السوري بغالبيته إلى حمل السلاح والالتفاف حول الجيش، ولعلّ ما حدث مؤخراً في السويداء والحسكة وحلب مثال واضح، الأمر الذي يؤكد أن لا مشكلة على صعيد الموارد البشرية.

تداعيات ومفاعيل استراتيجيات شيطنة غزّة

■ محمد احمد الروسان*

لماذا جاءت تفجيرات غزّة الأخيرة، بعد زيارة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إلى السعودية؟ هل هي رسالة من السلفية الجهادية التكفيرية (مفرخة الدواعش) إلى القائد العام للجناح العسكري لحماس محمد الضيف، كونه لا يتساوق في المستجدّ على خطوط العلاقات الحمساوية السعودية وما رشح في الإعلام عن نتائج الزيارة؟ أم أنّها رسالة إلى إيران من البلدربيرغ الأميركي الصهيوني كون غزّة ساحة نفوذ إيراني؟ أم هي رسالة من إيران ولمن، كما يزعم البعض الغارق في التوهان الاستراتيجي من البعض العربي التابع؟ وهل يلوّح الطرف السياسي الوازن في حماس بعصا (مفرخة الدواعش) لمحمد الضيف؟ وهل نحن في صدد مشروع الدول الثلاث في فلسطين المحتلة (دولة الكيان الصهيوني، السلطة في رام الله، دولة الأمر الواقع في غزّة) برئاسة السيّد خالد مشعل مثلاً، حيث يقود وجود ثلاثة كيانات إلى عدم وجود دولة فلسطينية وازنة ذات صوت قوي بالمعنى القانوني والسياسي في المحافل الدولية؟ وهل من أفشل الاتفاق المزعوم في تلك الزيارة ما غيرها هو محمد الضيف، فجاءت التفجيرات الفاشلة كرسائل، حيث كان الفشل مقصوداً بحدّ ذاته ليكون رسالة عرضية وعمودية عميقة؟

الراديكالية تتمدّد في جلّ قطاع غزّة، وخطر دخول عناصر الدواعش من سيناء إليه يتفاقم، بل إنّ «إسرائيل» تعمل على ذلك لتفجير القطاع المحاصر عربياً وإسرائيلياً من الداخل، والسلفية الجهادية التكفيرية هناك هي في مفاصلها وفواصلها ذاتها «داعش»، وهي تتشارك مع «إسرائيل» في تلغيم القطاع ليُصار إلى تفجيره وبالقطعة، كون ذلك بعقابيله يخدم الطرفين، والدواعش هناك ليست مجرد عناصر منشقة عن حركات المقاومة المختلفة وخاصة عن حماس، بل هي في طور الكينونة والصيرورة كتنظيم.

والسلفية الجهادية التكفيرية في غزّة، تتناكح مع مفاصل الجهادية السلفية التكفيرية في سيناء، حيث الكيان الصهيوني يعمل على توظيف نتاجات زواج كلا السلفيتين الجهاديتين التكفيريتين، لضرب المقاومة في غزّة وتفجيرها وبالقطعة، حيث التأثيرات متبادلة بين ما يجري في غزّة وما يجري في صحراء سيناء، وبالتالي من مصلحة مجتمع المقاومة هناك وخاصة حماس والجهاد الإسلامي، القضاء على هذه السلفية الراديكالية أو إضعافها على المدى القصير، ليُصار إلى شطبها لاحقاً بالخيار الفكري والحوار، بجانب ما يتناسب في المنسوب من الخيار الأمني عندّ الضرورة.

فمواجهات 2009 (أحداث مسجد ابن تيميه) في غّزة، أجّجت وفاقمت وعمّقت السلفية الجهادية التكفيرية فيها، وهي مواجهات نتاج رفض حماس تطبيق الشريعة الإسلامية بعد فوزها في 2006، وزاد على منظومة ودوائر تعميقها تداعيات وعقابيل ما سُمّي بـ«الربيع العربي» وحتّى اللحظة.

غزّة في طريقها للدخول في مواجهات عمودية وعرضية، بين السلفية الجهادية التكفيرية من جهة، وحركتي حماس والجهاد الإسلامي وأخريات من مجتمع المقاومة من جهة أخرى، وبدفع صهيوني واضح ومدروس وبتواطؤ عربي صارخ وفاضح وخائن.

لنُعمل العقل ولو قليلاً في جلّ تصريحات كوادر الإدارة الأميركية صدى البلدربيرغ الأميركي، وخاصة في مؤسسة مجلس الأمن القومي الأميركي والتي تتموضع في العبارة التالية: (فشل المفاوضات سيؤدّي الى اندلاع انتفاضة ثالثة) ولنخرج من سياسة تدوير الزوايا لنسمّي الأمور والأشياء بأسمائها ودون لفّ ودوران وبكلّ وضوح.

مع بدء الانتفاضة الفلسطينية الأولى ثم الثانية، وما رافقهما من مخاضات عسيرة غير مكتملة وغايات وأهداف ونتائج ظهر بعضها، بدأت عملية التحوّل الأصولي الإسلامي في فلسطين المحتلة، فكانت في البدء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وحركة الجهاد الإسلامي.

وبسبب فشل تسوية الصراع العربي ت «الإسرائيلي»، وتحديداً الصراع الفلسطيني - «الإسرائيلي»، وفقاً لاتفاقيات أوسلو، التي راهنت عليها كثيراً حركة فتح، كان من شأن ذلك أن عزّز من مكانة وتجذر أصول عمل كل من حركتي حماس تحديداً والجهاد الإسلامي عموماً، وهما بمثابة الأب الروحي للحركات الجهادية السلفية الأصولية الفلسطينية التي ظهرت لاحقاً لهما وتظهر الآن من جديد.

تقول المعلومات إنّ الساحة السياسية الفلسطينية، في ظلّ الاحتلال وحصاره المجرم، تشهد تزايداً عبر توالد متسارع للحركات الجهادية السلفية الفلسطينية، وتنشيط فعالياتها السياسية، مع تطرف في خطابها الديني لجهة تعاملاتها السياسية مع الملفات المحلية والإقليمية والدولية.

وما يجري الآن في فلسطين المحتلة، وتحت عنوان الجهادية السلفية الفلسطينية، يشي بتحوّل نوعي وكمي وأفقي لجهة عدد الحركات، وعمودي لجهة الخطاب الديني المتطرف المختلف عن خطاب حماس تحديداً والجهاد الإسلامي عموماً وفي كافة الاتجاهات، انّه تحوّل داخل التحوّل الأصولي الذي بدأ مع بدء الانتفاضتين الأولى والثانية، وما تزامن ذلك مع فشل اتفاقات أوسلو، لا بل شطب أوسلو عبر شارون وحصاره للمقاطعة وللرئيس الراحل ياسر عرفات في وقته وظروفه.

انّه تحوّل باتجاه المزيد من حركات الأصولية السلفية الفلسطينية الجهادية، التي تنمو باستمرار لأسباب موضوعية عديدة، من تفاقم الأوضاع الفلسطينية الإنسانية، إلى فشل ما تسمّى بجهود التسوية السياسية وحالة الانقسام الفلسطيني العمودي والأفقي، وما يجري في المنطقة عبر مجتمعات الدواعش والفواحش، نتاجات الفكر الوهابي المستولد من فكر ابن تيمية الراديكالي نتاج بيئة ابن تيمية نفسه، حيث الإنسان ابن بيئته ونتاجها، إلى أسباب التحوّلات النوعية الدينية الجارية في المجتمع الفلسطيني المصادر حقه في تقرير مصيره، وانتهاءً بأسباب الانقسامات التي قد تظهر بين الحين والآخر في أوساط هذه الحركات السلفية الجهادية الفلسطينية، فعدوى الانقسام الفلسطيني انتقلت بقوّة من حماس وفتح إليها ووفق منهجية مخابراتية أميركية عبر الجنرال كيث دايتون ومجموعته في الداخل الفلسطيني، بالتعاون مع المخابرات «الإسرائيلية» وبالتنسيق مع «التيار المتأسرل» في السلطة الفلسطينية، حيث المجهود المخابراتي الأميركي «الإسرائيلي» المتقاطع مع رؤية تيار متأسرل في فتح والسلطة لدعم توالد حركات السلفية الفلسطينية، وفي الضفة الغربية أيضاً، لأهداف سنأتي على ذكرها.

دولة أم «إمارة» فلسطينية؟

هذه العمليات التحوّلية النوعية والكمية، في الأصولية الإسلامية في فلسطين المحتلة الآن، تولد عنها تيارات واتجاهات دينية أصولية إسلامية تتبنّى خطاباً أصولياً يتجاوز بعمق على خطاب حركة حماس نفسها والجهاد الإسلامي، فهي تغلّب الديني الجهادي الإسلامي على الوطني السياسي الفلسطيني، وذلك بسبب خلفية صراعية تاريخية قديمة تتمثل: في أنّ جوهر ولبّ الصراع جرى منذ القدم بين الإسلام واليهودية، ويجري الآن وفقاً لرؤية هذه الحركات وسيجري مستقبلاً مشحون بالصراع القديم، وعلى هذا الأساس المتواتر اشتقت حركات السلفية الجهادية الفلسطينية، مقاربات خاصة بها للصراع العربي «الإسرائيلي» تتمثل في أنّه: لا بدّ من تحرير القدس والمسجد الأقصى والحفاظ على المقدسات الإسلامية مثل الحرم الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال في بيت لحم، والمطلوب ليس إقامة دولة فلسطينية بالمعنى السياسي العلماني البحت، وإنما إقامة إمارة فلسطينية إسلامية بالمعنى الشرعي الإسلامي.

هذا وقد عابت هذه الحركات السلفية على حماس، بعد سيطرتها على قطاع غزّة عدم إعلانها قيام الإمارة الإسلامية فيها استناداً إلى فقه التمكين، حيث ثقافة الخطاب الأصولي الإسلامي تؤمن به وتستند إليه، وحركة حماس تعرف مدى خطورة هذه الظاهرة الجديدة على الساحة السياسية الفلسطينية الضعيفة أصلاً، وعلى الساحات السياسية لدول الجوار العربي (ظاهرة الحركات الجهادية السلفية الفلسطينية، حيث تميل إلى التطرف في خطابها الديني، ولها خطورة كبيرة ونوعية على القضية الفلسطينية) المشروع الوطني الفلسطيني أولاً ثم خطورتها على حماس والجهاد الإسلامي، وقبل كل شيء على الإسلام ومبادئه الحقيقية وسلامة العقيدة.

لذلك نجد حركة حماس بشكل خاص وحركة الجهاد الإسلامي بشكل عام، قد حاربتا بنجاح باهر هذه الحركات الجهادية السلفية، فلم تحصل على موطئ قدم في قطاع غزّة سوى ثلاث حركات جهادية سلفية هي: حركة جند أنصار الله (تم القضاء عليها)، وحركتا جيش الأمّة وجيش الإسلام (وهناك تفاهمات حمساوية – جهادية معهما).

في حين باقي الحركات الجهادية السلفية التي تمّ استيلادها من بعضها البعض، تتواجد في نطاق جغرافيا الضفة الغربية المحتلة، ولتفسير ذلك سأحاول الإجابة على السؤال التالي:

لماذا انتشرت حركات الجهادية السلفية الفلسطينية مثل الفطر في فلسطين المحتلة في منتصف العقد الأول من هذا القرن وتحديداً في الضفة الغربية وبعد حسم حماس بغزّة؟

في ظني كان لتراجع ثقة الرأي العام الفلسطيني وعلى مختلف مشاربه، في مصداقية السلطة الوطنية الفلسطينية وما فيها من ملفات فساد، كذلك في مصداقية منظمة التحرير الفلسطينية وعدم إعادة بنائها وتوسيعها أفقياً، مع فشل واضح لحركة فتح كحزب حاكم (أول الرصاصة وأول الثورة) وفشل السلطة من قبلها ومن بعدها (فهي سلطة فاشلة بشهادة الجميع وبعض من قادتها وكوادرها، قابله تزايد ثقة الرأي العام الفلسطيني في مصداقية الحركات الإسلامية الفلسطينية التي حافظت على خيارها الوحيد) خيار المقاومة المسلحة ضدّ «إسرائيل»، وبالتالي جلّ الشعب الفلسطيني صار أكثر ميلاً لجهة دعم الأصولية الجهادية الإسلامية بما تمثله من تطرف متفاقم متزايد.

هذا السبب الجوهري تقاطع مع نجاح حماس في حركتها في قطاع غزّة عبر إخراج حركة فتح والسيطرة عليه، مما دفع أجهزة الأمن الفلسطينية وهي في حالة من الغضب والحنق على حماس، بأنّ سمحت ودفعت بالحركات الجهادية السلفية لكي تعمل في الضفة الغربية وتنافس حماس والجهاد الإسلامي، مع تشديد الضغوط على الأولى والثانية ليصار إلى احتواء هذا الحراك الجهادي السلفي الفلسطيني، ليتم توظيفه وتوليفه واستخدامه (كأوعية تنظيمية) لمواجهات لاحقة مع حماس والجهاد في الضفة الغربية.

الأردن متأثر من تداعيات الانتشار للجهادية السلفية بما فيها التكفيرية في الضفة الغربية المحتلة، ولكنه الآن يتأثر بشكل أعمق، ويترتب عليه عبء أمني كبير، حيث الحدود بين الضفتين في تماس واضح وبسبب تداعيات ما يجري في سورية، مع وجود حواضن مثلى للجهادية الأصولية بشكل عام وقابلية المجتمع لاحتضانها ورعايتها وحتّى توفير الدعم لها.

أمّا أخطر ما في الموضوع هو ذلك السيناريو، الذي رتب في ليل من قبل «سي أي آي» بإشراف كيث دايتون وجهاز «الشاباك الإسرائيلي»، وبالتنسيق التام مع أجهزة سلطة رام الله وحكومتها، من أجل توفير البيئة الأمنية والسياسية وحتّى الاقتصادية المناسبة، والمشجعة لخلق ونمو الحركات الجهادية السلفية الإسلامية في الضفة الغربية المحتلة، مع مضايقات متعددة لحركتي حماس والجهاد الإسلامي لعرقلة وامتداد نفوذهما هناك، وترحيل جلّ العناصر الجهادية السلفية الأصولية من مختلف ساحات الصراع في الشرق الأوسط، ومن البؤر الساخنة لدول الجوار الفلسطيني (ترحيلها بشتى الوسائل والطرق ترغيباً وترهيباً، للتوطن في الضفة الغربية المحتلة كونها ملاذاً آمناً وموقعاً هجومياً متقدماً لضرب إسرائيل)، والهدف الاستراتيجي من الزاوية الأميركية و«الإسرائيلية» ومن زاوية التيار المتأسرل في حركة فتح، هو من أجل نصب الفخاخ المختلفة ونسج الشباك الأمنية والسياسية، كي يتمّ تحويل كلّ الضفة الغربية المحتلة إلى كمين جغرافي بعد تنميطه وشيطنته كبؤرة حاضنة للإرهاب الأممي عامة والفلسطيني خاصة، فتقع الفراخ (الحركات الجهادية السلفية الفلسطينية بما فيها التكفيرية) في الشباك المنصوبة بعناية وخبث سياسي وأمني دفين، وهذا ما تسعى إليه الدولة العبرية من جهة سياسية لنفي وجود شريك فلسطيني حقيقي، لتصنع معه ما يسمّى بالسلام المناسب لمقاسها ومقاس الإدارة الأميركية الديمقراطية الحالية ذات الأجندات الفوق جمهورية البوشيّة، وأي إدارة لاحقاً.

وعبر صناعة حملة بناء الذرائع المتعددة لتضلل الرأي العام الأممي تحت عنوان: «إسرائيل» منحت وسمحت للفلسطينيين وسلطتهم حكماً ذاتياً موسعاً، قابل للتطوّر والتطوير، وبدلاً من ذلك صارت الضفة الغربية ملاذاً آمناً للإرهاب الأممي، ولا جدوى من إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الأراضي المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزّة، فتتمّ مهاجمة الضفة الغربية «إسرائيلياً» وأميركياً للقضاء ليس فقط على هذا التجمّع المجمّع الأصولي السلفي الجهادي المتطرف)، لا بل القضاء على النفس الوطني التيار العروبي في حركة فتح، وبالتالي تصفية حماس وكوادرها والجهاد الإسلامي وكوادرها وكتائب شهداء الأقصى وكوادرها، والأخيرة هي التيار الإسلامي في حركة فتح العلمانية، ثم دعوة المجتمع الدولي، والمقصود فيه أميركا وحلفائها بإيجاد حلّ ما لهذا الصراع الفلسطيني - «الإسرائيلي» المقزّم، ويقيناً سيكون على حساب الدولة الأردنية كيفما حسبته وضربته وأخضعته للتحليل في كافة الاتجاهات الأربع.

حكومة يمين اليمين في الكيان الصهيوني ترسم حدود الأخير منفردةً، وأعلنت صراحة وعلى لسان نتنياهو (والأخير بمثابة شوكة بالمؤخرة): لا انسحاب «إسرائيلياً» من غور الأردن وفق أيّ تسوية سياسية قادمة، سواء كانت الأخيرة اقليمية بفعل الحدث السوري أو في إطار ثنائي («إسرائيلي» - فلسطيني).

من ناحية أخرى على الأردنيين والفلسطينيين اعتبار الأغوار الفلسطينية جزءا هاما من القضية الفلسطينية تتماثل وتتساوق وتتوازى مع قضية القدس واللاجئين.

الكيان الصهيوني لن ينتهي بهجوم استراتيجي صاعق عبر نووي أو كيميائي أو بيولوجي، بل باستراتيجية التفكيك عبر المقاومة المستمرة وفقاً لمستويات سياسية عنفية، والأميركان ينفذون سياسات وأجندات لإضعاف ليس النظام فقط في الأردن، بل النسق السياسي بمجمله، وعبر كواليس علم الاقتصاد وإسقاطه على الميدان، وعلم الاجتماع ومساراته في الديمغرافية المجتمعية، ومن إضعاف للإدارة العامة للدولة والمنظومة الأمنية الفكرية وصولاً لعدم استقرار الدينار، ليسهل تصفية الموضوع الفلسطيني على ما تمّ استثناؤه من وعد بلفور عبر حنكة ودهاء الملك حسين، وبعد انتقال الأردن من مظلة الرعاية البريطانية الدولية الى مظلة الرعاية الأميركية الدولية بعد وفاة الملك حسين، مع توقيع عمّان قبل سنتين ونصف تقريباً لاتفاقية خاصة لرعاية المقدسات مع (م.ت.ف) بحضور الملك والرئيس عباس وتوقيع وزير أوقاف الأردن ووزير أوقاف السلطة الوطنية الفلسطينية، لتزيد من تورّط عمّان والملك في تعقيدات المشهد الفلسطيني.

هل صحيح أنّ هناك قناة تفاوضية خلفية سريّة على غرار أوسلو بمشاركة عمّان والفاتيكان وتركيا؟ كم مرّة زار أكرم هنية وغيره من الحلقات الضيّقة بالمعنى الأميركي، وكذلك ياسر عبد ربه المغضوب عليه الآن من قبل الرئيس عبّاس) عمّان سرّاً؟ ومع من اجتمعا من غير الأردنيين؟

*محام، عضو المكتب السياسي للحركة الشعبية الأردنية
www.roussanlegal.0pi.com
mohd—ahamd2003@yahoo.com

كارتر طمأن «إسرائيل» فماذا عن باقي الحلفاء...؟

■ سعد الله الخليل

كما كان متوقعاً تشهد المنطقة موجة حراك سياسي عقب توقيع اتفاق فيينا حول النووي الإيراني بعناوين مختلفة في الشكل متفقة في المضمون، وما يدور في كواليس السياسة لجهة إعادة ترتيب التوازنات الدولية وإدارة الملفات الكبرى في المنطقة في ظلّ الاعتراف الدولي بأهمية الاتفاق النووي الإيراني.

في زحمة الزيارات والجولات برزت جولة وزير الدفاع الأميركي أشتون كارتر إلى المنطقة، والتي أعلن البيت الأبيض أنها تأتي لطمأنة الحلفاء بأنّ الاتفاق النووي لن يضرّ بعلاقات واشنطن مع شركائها الإقليميين ورأس حربتها في الحرب على إيران.

بالرغم من أنّ العنوان العريض للزيارة نقل رسائل الطمأنينة وراحة البال، إلا أنّ فحوى الرسائل تقرأ من عناوينها، فكارتر الذي قضى في تل أبيب ما يفوق الوقت الذي قضاه وسيقضيه في باقي محطاته، أكد أنّ أمن «إسرائيل» سيبقى في رأس أولويات واشنطن واستبق لقاءه مع نتنياهو بتعزيز التعاون العسكري مع «إسرائيل»، كاشفاً عن منح تل أبيب مضادات للصواريخ وتقنيات الأمن المعلوماتي خلال لقاء نظيره موشيه يعالون.

في الأردن قضى كارتر جلّ وقته بزيارة جنود دول التحالف الدولي الذي تقوده واشنطن ضدّ تنظيم «داعش» في قاعدة جوية، وجدد التزام بلاده و«إسرائيل» بمواجهة ما وصفه النفوذ الإيراني في المنطقة، مشدّداً على العمل مع «إسرائيل» وشركاء آخرين في المنطقة للمواجهة.

كلام كارتر يكشف حقيقة الزيارة، فحين تستحوذ «إسرائيل» على الجزء الأكبر من كلمة كارتر أمام ضباط من ست دول وتوصف باقي الدول بالشركاء الآخرين، فإنّ ذلك يعني أنّ المعني الأول من الزيارة «الإسرائيلي» وليس أيّ طرف آخر.

من الأردن إلى السعودية حطت طائرة كارتر التي استبقها المتحدث باسم «البنتاغون» جيفيري مارتن بالتأكيد أنّ كارتر سيطلع حلفاء واشنطن في المنطقة على الضمانات التي ستحول دون حصول طهران على السلاح النووي، فما الجديد الذي سيحمله كارتر لدول الخليج طالما أنّ بنود الاتفاق النووي تتضمّن الحيلولة دون امتلاك طهران أية أسلحة نووية، وأنّ آليات تنفيذ القرار تضمن التنفيذ الدقيق تحت إشراف المراقبين الدوليين بالتزامات دولية صارمة وأية ضمانات غير معلنة يقدّمها كارتر لأصدقائه غير ما تمّ الاتفاق عليه في قمة كامب دايفيد بضمان أمن دول الخليج من أي اعتداء عليها وهو ما يعني تفعيل صفقات الأسلحة والتي سبق أن رتبها سماسرة الأسلحة الأميركية في المنطقة لتحريك سوق السلاح في واشنطن واستنزاف المزيد من مالية الخليج المنهكة أصلاً بانخفاض أسعار النفط.

وطالما أنّ جولة كارتر ستستكمل ما تداوله حديث أوباما للخليجيين في كامب ديفيد فإنّ رسائل كارتر لن تخرج من سياق أجوائها حين حذر أوباما زواره من الخطر الداخلي الذي يفوق خطر النووي الإيراني وهو ما يضع معارك الخليج ضدّ إيران ومواجهة عقود في خانة الوهم والعبثية السياسية والإغفال عن العدو الحقيقي المتمثل بالداخل والقابع في أفكار الشباب المشتّت بين ضياع التيارات المتطرفة التي نمّت الأنظمة الخليجية تواجدها، وبين ساخط ومستاء جراء سياسات قيادات مهترئة عاجزة عن تلبية طموحات وتطلعات الأجيال الشابة في الخليج وهو ما يحوّل جولات طمأنة الحلفاء إلى جلسات لجرد حساب يدفع فيها الحلفاء العرب أثمان فشلهم في إفشال مشروع الاتفاق النووي الإيراني.

منذ عقود والسياسة الأميركية في المنطقة قائمة على حقيقتين لا ثالث لهما أمن «إسرائيل» كأولوية واستنفاذ الحلفاء في حروب واشنطن وتحميلهم مسؤولية فشلهم بتنفيذ تعهّداتهم قبل تركهم يلطمون وينوحون فيما يتنعّم هو بمكاسب خططه البديلة الحاضرة دوماً.

جلسات الطمأنينة ستتحوّل جردة حساب ودفع أثمان وفي أحسن حالتهم سيخرج حلفاء واشنطن بخفي حنين أو بضخ المزيد من الدولارات في الخزائن الأميركية من بوابة التسلّح العبثي.

«توب نيوز»

أوباما والقمة الرباعية

– في مقاربة الحرب على سورية يبدو أنّ الرئيس الأميركي يعتمد مجموعة سياسات متناقضة دفعة واحدة قصدا.

– التصريحات التصعيدية ضدّ الدولة السورية لا تعبّر دائماً عن القراءة الأميركية للوقائع السورية.

– اعتبار أنّ الحرب على «داعش» حرب وجود ولا فرصة للنصر بدون عمل بري ولا تعاون مع الدولة السورية يتناقض مع الإعلان الأميركي الأكثر جدية بكشف هزال المعارضة التي لم تنجح بتجنيد أكثر من 60 عنصراً للتدريب، والتي ليست وفقاً لكلام أوباما نفسه إلا مجرد فانتازيا غير موجودة.

– تتشابه هذه التصريحات مع التكرار بين حين وآخر مع دعوات تتكرّر كذلك بين فترة وأخرى لرحيل الرئيس السوري واعتبار الحلّ السياسي مستحيلاً معه، بينما تصريحات مسؤولين أميركيين تقول بمعادلة استحالة إعادة لمّ الشظايا السورية والفوز بالحرب على «داعش» دون التعاون مع الرئيس السوري والجيش السوري.

– الطرح الأميركي الواقعي هو دعوة أوباما إلى قمة تتضمّن قادة روسيا والسعودية وإيران وتركيا لحلّ سياسي في سورية.

– الطرح الأميركي مقبول من سورية وإيران وروسيا ويبقى تركيا والسعودية... أيّ حلفاء واشنطن.

التعليق السياسي

«داعش» ورأسُ الذئبِ المقطوع

■ عدنان كنفاني

علينا أن نعترف بأنّ العمل المخابراتي فائق الدقّة والتكتم، وماكينة الإعلام، استطاعا تضليل الكثيرين، وللأسف كان لبعض الإعلام العربي، وخصوصاً إعلام «العربان» المرئي على وجه الخصوص، دور رائد في هذا التضليل الذي وصل إلى حدّ قناعة مطلقة في عقول البعض، مفادها أنّ «داعش» الذي ظهر فجأة ومن دون مقدّمات ولا بوادر (وهذا أيضاً من بعض الدور المخابراتي والإعلام)، سقط من السماء، أو نبت من قلب رمال الصحراء فجأة، وقام فور ولادته الغريبة باستعراض غريب من نوعه من خلال رتل وقافلة طويلة من أحدث السيارات رباعية الدفع، يستعرض آمناً مطمئناً، رجالاً بثياب سوداء، ورايات تحمل اسم الله والرسول، وصراخاً وهتافات مجنونة غايتها بثّ الرعب، وعناصر يبدو للوهلة الأولى أنهم قدموا من عالم آخر ما زال في دائرة العصور الحجرية، أو عصور ما قبل التاريخ، لولا سلاح حديث يحملونه أو يجرّونه، والأهمّ من ذلك، كانت الماكينة الإعلامية التي تروّج بأنهم مجموعات من الرعاع، غير منتظمين، قيادتهم إمارة وأمير، وتمويلهم مما يسرقون ويسطون عليه من خلال غزو المدن والتجمّعات السكانية، أو المتاجرة بالآثار المسروقة، أو من بيع البترول في المناطق التي يسيطرون عليها، وفوق ذلك كله، فهم يحملون فكراً يؤمنون به حدّ الموت من أجله، وهو فكر تناوب حضوره «إعلامياً» بين فكر وهابي، أو سلفي، أو إخوان مسلمين، وكلّ ذلك لغاية خلط الأوراق. ومهما كان الفكر الذي يتحدّثون عنه فهو، وبعد المجريات على الأرض، وسلوك «الدواعش»، فكر منحرف لا مرجعية موثّقة له، ولا أصول مبنية على أسس دينية أو أخلاقية أو حتى إيديولوجية، غير ذلك الوهم الذي شكّلوه «إعلامياً» في عقول الكثيرين...

الحقيقة غير ذلك تماماً

تشبه حكاية «داعش»، إلى حدّ ما، حكاية أحداث 11 أيلول ومسؤولية ابن لادن والقاعدة عنها تخطيطاً وتنفيذاً، ولا أعتقد أنّ أحداً يصدق أنّ «ابن لادن» وكلّ عناصر «القاعدة»، وما ملكوا من عقول وتقنيات يمكن أن يقوموا بمثل ذلك الفعل الدقيق جداً، والذي اعتمد على نظريات رياضية دقيقة جداً كي يتحقق تدمير البرجين من خلال إصابة فائقة التركيز والاصطدام بنقاط محدّدة في البنائين، بغضّ النظر عن العناصر التي قامت بالتنفيذ مهما كانوا، فمن السهل بمكان أن نجد «جهاديين» مستعجلين اللقاء بـ«حوريات» الجنّة!

وما يروّجون له الآن من أنّ «داعش» كسر عصا طاعة من أنشأه وموّله ودعمه وخطط له، كما خروج «القاعدة» عن سيطرة السيد الأكبر، هو محض افتراء وكذب وتضليل، فـ«القاعدة» لا يمكن أن تكسر عصا طاعة وليّها، ولن يُسمح لها بهضم التقنيات الحديثة، بل تبقى أداة تنفيذ، وأكثر ما يمكن أن تفعله (مستقلّة) عن سيدها، أن ترسل انتحارياً «جهادياً» يفجر نفسه هنا أو هناك، ومتى أصبح «أحدهم» عبئاً فليس أسهل من تصفيته وإلقاء جثّته في البحر كي يضيع أثره كما حصل لابن لادن! والأمثلة كثيرة وكلها تبيّن قدرة «اليانكي الأميركي» على التخلص من كلّ من يكبُر، ويفكر افتراضاً أنه أصبح ذا شأن وصاحب قرار، وخير دليل على ذلك العملية التي حصلت في شمال سورية عندما تمكّنت قوات «كوماندوس» الأميركية من تنفيذ عملية إلقاء القبض على عنصر أوشك أن «يفلت عقاله» وتصفيته. وعلى إيقاع هذه الأمثلة، يبدو أنّ «أبوبكر البغدادي» هضمها جيداً «حتى الآن»، وتعلّم من «رأس الذئب المقطوع!»

الآن «داعش» له الدور نفسه، وكلّ ما يشاع عن كسره عصا طاعة وليّه هو محض تضليل وافتراء وبعيد عن الحقيقة والواقع.

من خلال فترة السنوات الأربع ونيف من بداية الأحداث التي عصفت بسورية على وجه التحديد، ثم ظهور «داعش» بعد أن أوشكت سورية على إعلان الانتصار المحقّق على «العصابات» المسلّحة التي أنيط بها بداية تنفيذ مشروع تدمير وتقسيم وإسقاط سورية، صدرت الأوامر لظهور «داعش» ودخوله المسعور إلى مناطق حدودية في سورية، واتخاذ مدينة «الرقة» مركزاً للقيادة، وإدارة معاركه، وتمدده فيما بعد إلى كثير من المناطق في سورية وفي العراق، وليس أخيراً إلى ما وراء حدود سورية والعراق والمنطقة، وأحياناً إلى القارات الأخرى.

نعود إلى السؤال «المحيّر» الأول: من أين أتى «داعش».؟ وهل حقاً نبت من رمال الصحراء، أو سقط من سقف السماء؟ وهل هو «تيار فكري»؟ بالتأكيد، ونحن في القرن الواحد والعشرين ندرك أنّ زمن المعجزات والخرافات والشعوذة قد ولّى، وبقي ما أرادته الجهة، أو الجهات التي خلقت «داعش» «استهبال» العالم.

منذ أن أعلنت «كونداليزا رايس» وزيرة خارجية أميركا السابقة عن «الفوضى الخلاقة» والشرق الأوسط الجديد، كان التحضير يجري لخلق «داعش»، مكان التجمع والتدريب متوفّر في تركيا، وهي الأقرب إلى الأهداف وتملك مشروع إعادة عهد «السلاطين»، وفكر ديني متطرّف، وكان من السهل جداً على الولايات المتحدة الأميركية «بالإغراء والترغيب» فرض رغبتها على تركيا لتكون قاعدة لمشروع خلق تنظيم رديف لـ«القاعدة» من دون تبيان أو عرض الأهداف الآنية أو اللاحقة.

وكان من السهل على أميركا أن تفرض على السعودية وقطر وبعض دول الخليج التمويل المالي من دون حساب، ودون تحديد أرقام أيضاً ومن خلال تعهد أميركا حماية دول الخليج من أي عدوان قد يستهدفها، وكذلك إيقاف «التمدّد الإيراني الشيعي» نصرة «للسنّة»، وبالتالي حلفاء إيران بما فيهم سورية وحزب الله وبعض الفصائل الفلسطينية، ولو أنّ هدف تدمير وتقسيم سورية لم يكن فقط لهذه الأسباب من وجهة النظر الأميركية.

وكان من السهل أيضاً فرض تعليمات على الحكومة الأردنية لتكون مركزاً لغرف عمليات وتسريب عناصر وسلاح بدعم لوجستي كامل من أميركا «وإسرائيل» إلى جنوب سورية، وكذلك استئجار جماعة 14 آذار، وتيار المستقبل، وبعض التنظيمات المتطرّفة في لبنان لتشكيل طوق كامل حول سورية.

من الطبيعي أن يتشكّل حلف «عسكري سياسي مخابراتي» قوي بين أميركا «وإسرائيل»، فالمصلحة واحدة والحلم الصهيوني في السيطرة على المنطقة بكاملها سيتحقق من خلال ذلك، وحلّ قضية فلسطين واللاجئين الفلسطينيين في أرض فلسطين التاريخية سيكون أسهل، بل وممكن بعد أن يتمّ تدمير وتفتيت أقوى وأهم الدول العربية (سورية والعراق ومصر)، فيما بعد، وبقية من الدول التي لم تعترف بالكيان الصهيوني أو تخضع له، وإيران وجبهة المقاومة بالكامل، وخصوصاً الوضع «المهلهل» للسلطة الوطنية الفلسطينية في رام الله، «ومتعة» المفاوضات الماراثونية لأجل المفاوضات ليس إلا، والانقسام غير القابل للحلّ بين سلطتي الضفة وغزّة، وخلق ظروف مؤاتية لاعتراف دول عربية «مؤثّرة» بـ«إسرائيل» وإقامة علاقات طبيعية وتطبيعية، (أسواق استهلاكية وعمالة بامتياز)، تحت سلطة الصهيونية العالمية الحليف الرئيس والأهم لأميركا، والشريك في خلق تنظيم إرهابي جديد «داعش» يكون ككلب صيد، يطلقونه متى شاؤوا وإلى وعلى من شاؤوا، ولو استدعى الأمر يمكن أن يطلقونه على «حلفائهم» في أوروبا، أو تركيا أو دول عربية إذا فكّر أحدهم، مجرد تفكير، بشقّ عصا الطاعة، على شكل رسائل تفرض عليهم تمرير سياسات معيّنة، أو التراجع عن سياسات معيّنة!

الولايات المتحدة الأميركية هي الجهة صاحبة المصلحة الرئيسة من خلق «داعش»، وبالتعاون المطلق مع «إسرائيل»، والدول التي مررنا على ذكرها من دون أن تعرف، أو تقدّر المدى الذي سيذهب إليه «داعش» لتحقيق الحلم الأميركي في السيطرة المطلقة على المنطقة وبترولها وخيراتها، والحلم الصهيوني بدولة «يهودية عنصرية»، وشطب «فلسطين» من خريطة العالم.

وزبدة القول: إنّ أميركا تمسك بقوة بكلّ أسباب ما يمدّ «داعش» بالحياة والبقاء، وهي تسخّر كلّ إمكاناتها العسكرية والتكنولوجية وأقمارها الصناعية وأفضل القادة العسكريين الاستراتيجيين، والمعلومات التفصيلية لكلّ هدف يطلقون «داعش» إليه، وخلايا ناشطين في «لمّ» حثالة المتسكعين في العالم على خلفية إغراء (المال والجنس)، فهؤلاء الذين يعانون من «كبت جنسي» على مستوى العالم، وفرّ لهم الغطاء الديني، وفتاوى الشيوخ المأجورين مبرّراً يتمثّل «بسبعين حوريّة» ينتظرن «الجهادي» الذي ينفّذ «بإخلاص» انتحاراً موجّهاً بعد الموت، وفي توفّر «مجاهدات النكاح» في الحياة الدنيا المقبلات على ممارسة الجنس، وأيضاً بفتاوى تبرّر فعل «الدعارة»، أما المال، فحدّث ولا حرج وقدرته على شراء الضمائر والعاطلين ويصرف بسخاء، فتخرس الألسن وتموت الضمائر.

كلّ هذه «المفاتيح والصنابير» في يد أميركا قطعاً، أو عن طريق رضى أميركا، وهذا يعني أنّ كل حديث واهم عن شقّ عصا الطاعة، سواء «القاعدة»، أو «داعش» عن «المارد» الأميركي، هو كلام عبثي ليس له معنى ولا قيمة ولا معشار مصداقية.

كان يمكن للأمور المخطط لها أن تجري بليونة لتحقيق الأهداف الأميركية، لولا الصمود الأسطوري لسورية وحلفائها، ولو سقطت سورية «لا سمح الله»، لكان العالم سيشهد تغييرات كبيرة في جغرافيا المنطقة، ودولها، وستكون دول الخليج قاطبة أول الأهداف، مروراً بالأردن ولبنان، ثمّ دول المغرب العربي، ولن يبقى «داعش» تيحمل هذا الاسم المزدوج، بل سيحمل أسماء أخرى كثيرة مزدوجة أيضاً.